لغز عباس الأقرع



محمود سالم

لغز عباس الأقرع

تأليف
محمود سالم



لغز عباس الأقرع

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٢٥٤٢ ٥

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٠.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

المحتويات

مكالمة تليفونية من مجهول

خُيِّل لـ «تختخ» أنه في حلم ... فهناك يد تهزه ليستيقظ ... وأنه يتقلَّب على جانبه حتى لا يصحو من النوم اللذيذ ... فقد سهر طويلًا مع كتاب من الكتب التي يُحبها ... ولم ينَم ما يكفي ... فلماذا هذه اليقظة المفاجئة؟! ... لا بد أنه يحلم ... ولكنه لم يكن يحلم ... فقد سَمِع صوت والده يقول: «توفيق» ... «توفيق»، اصحُ!

فتح عينَيه وشاهد والده ينظر إليه ... فجلس سريعًا في فراشه وعاد والده يقول: صباح الخير.

توفيق: صباح الخير يا أبي.

الوالد: هل أنت على ما يرام؟

توفيق: نعم ... هل حدث شيء؟ هل كنتُ أهذي وأنا نائم؟!

الوالد: لا شيء من هذا ... ولكن هناك مُكالمة تليفونية لك ... من «عاطف».

ردَّ «تختخ»: من «عاطف»؟! ... في هذه الساعة! كم الساعة الآن يا أبي؟

الأب: السادسة وخمس دقائق.

تختخ: ما زال الوقت مبكِّرًا جدًّا ...

وأحسَّ بشيء من التوجُّس والضيق. هل حدث شيء؟! لماذا يتصل به «عاطف» في هذه الساعة المبكِّرة من النهار ... إن المغامرين الخمسة ليسوا مشتركين في حل لغزٍ أو في مطاردة لص ... فما هي الحكاية؟

كانت هذه الخواطر تتردَّد في رأسه وهو يُسرع إلى التليفون، وعلى الطرف الآخر سمع «عاطف» يقول في صوت حزين: يا «توفيق» ... لقد اختفَت «لوزة»!

ظلَّ «تختخ» لحظات لا يتحدَّث ... أما زال الحلم مُستمرًّا؟ أما زال يحلم؟ ... ولكن صوت أقدام والده على السلَّم، وضوء النهار، وصوت السيارات، وحتى فنجان الشاي

الممزوج باللبن الذي شاهده في يد الشغَّالة «سعدية»؛ كل ذلك أَكَّد له أنه لا يحلم ... وقال: ماذا حدث بالضبط؟

عاطف: إنني مُرتبكٌ جدًّا ... فوالدي ووالدتي في حزنٍ شديد ... ولا أدري ماذا أفعل؟ ... وقد اتصلتُ بالشرطة ... وأول من وصل هو الشاويش «فرقع» ... وهو في الحقيقة حزين ... ويُحاول التسرية عن أبي وأمي ... ولكن ...

وأحسَّ «تختخ» أن صوت «عاطف» يخونه ... فقال على الفور: سأحضر حالًا!

ووضع سمَّاعة التليفون لحظات وهو يُفكِّر أن يتصل بـ «محب» و«نوسة»، ولكن فضَّل أن يُسرع لمقابلة «عاطف» ...

ارتدى ثيابه في دقيقتَين، ثم قفز إلى درَّاجته، واستدعى «زنجر» الذي قفز في سلَّته خلف «تختخ»، وانطلقت الدرَّاجة ... وكان الولد السمين قائدًا ماهرًا للدرَّاجات ... فقطع المسافة بين منزله ومنزل «عاطف» في دقائق قليلة، قضاها في تفكير مُتَّصلٍ حول اختفاء «لوزة» ... ما معنى أنها اختفت؟ كم ساعة؟ أين؟ إنه يعرف أنها كانت في الإسكندرية مع والدتها ووالدها ... فهل اختفت هناك؟ هل اختفت في القاهرة؟ هل لاختفائها طابع إجرامي؟ هل؟ هل؟ هل؟

عشرات الأسئلة بدون إجابة ... ولكنه سيحصل على الإجابات الآن ...

كان رأسه يموج بعاصفةٍ من الخواطر ... وقلبه بعاصفةٍ من الحزن ... ماذا حدث للمُغامِرة الصغيرة ... صديقته وأكثر الناس في هذا العالم إعجابًا به؟!

وصل إلى منزل «عاطف» وقفز من على درَّاجته ... وقفز خلفه «زنجر» الذي أطلق نباحًا حزينًا عندما وصل إلى سور الحديقة ... من المؤكَّد أن هذا الحيوان الأعجم يُدرك ما حدث ... فهو يتنسَّم رائحة صديقته الصغيرة التي طالما اهتمَّت بأمره وأطعمته بيدها.

دخل «تختخ» من الباب الرئيسي للفيلا ... ووجد أمامه «عاطف» واقفًا ... واجمًا ... وسمع في غرفة مكتب والد «عاطف» أصواتًا تتحدَّث، وأسرع «عاطف» إليه، وألقى نفسه بين ذراعَيه قائلًا: «لوزة» ... «لوزة».

تختخ: لا تخَف يا «عاطف» ... ستعود «لوزة».

عاطف: أشكُّ في هذا كثيرًا ... لقد اختفَت بطريقةٍ غامضة ... اختفَت في المسافة بين باب السيارة وباب الفيلا! هل تُصدِّق هذا؟! هل تُصدِّق أنها يمكن أن تختفي بهذه البساطة؟!

تختخ: اهدأ قليلًا يا «عاطف» ... وقل لي ماذا حدث بالضبط؟

عاطف: هل تسمع الحكاية من أبي؟

تختخ: نعم ... هيا بنا!

دخلا إلى غرفة المكتب ... كان والد «عاطف» يجلس على كرسي «فوتيه» ... ويقف بجواره أحد أقاربه ... وعندما شاهد والد «عاطف» المغامرين داخلين، بدت على وجهه مسحةٌ من الأمل ... فقد كان يعرف أن المغامر السمين كثيرًا ما اشترك مع الشرطة في حلِّ الألغاز المستعصية هو ومجموعة المغامرين.

سلَّم «تختخ» على والد «عاطف» بكل احترام، وقام والد «عاطف» بتقبيله فقد كان يُحبه ... وبدون كلمةٍ أخرى قال الأب: هل سمعتَ ما حدث؟

تختخ: سمعتُ أن «لوزة» متغيِّبة ... ولكني لم أسمع التفاصيل.

الوالد: إن كلمة متغيِّبة مُهذبة جدًّا بالنسبة لما حدث ... إنها مختفية ... ولا أستبعد أن تكون قد اختُطفت.

تختخ: هل عندك أسباب للذهاب إلى حد الاختطاف يا عمي؟

الوالد: إن ما حدث لا يُفسِّره إلا أن هناك تخطيطًا لخطف «لوزة» ... أمَّا الأسباب فأنا لا أعرفها.

دخل الشاويش «فرقع» ليُعلن عن وصول المفتش «سامي» الذي دخل بقوامه الفارع ونظَّارته السوداء التي لا تُفارق عينَيه ... وسلَّم على الجميع، ثم جلس ... وسرعان ما أُحضر له فنجان القهوة، وقال لوالد «عاطف»: لا تخشَ شيئًا ... إن «لوزة» ستعود سليمةً معافاة.

قال الأب بصوتٍ حزين: أرجو ذلك.

المفتش «سامي»: إنها بمثابة ابنتي ... وهي فتاة ذكية وشجاعة ... وإذا لم نصِل إليها نحن ... فسوف تجد هي وسيلةً للحضور.

وصمت المفتش «سامي» لحظات، ثم قال: لقد اطلعتُ بسرعةٍ على المحضر الذي كتبه الشاويش «علي» ... ولكني أُفضِّل سماع القصة كلها منك ... فالتفاصيل الصغيرة مهمَّةٌ جدًّا ... هل تتفضَّل وتروي لي ما حدث؟

الأب: كنتُ في الإسكندرية أقضي يومَي الخميس والجمعة مع زوجتي و«لوزة»، في حين بقي «عاطف» هنا؛ فقد كانت درجة حرارته مُرتفعةً نسبيًّا ... وفضَّلت ألَّا يُسافر بعد أن طلب الطبيب أن يبقى في فراشه ... ونظر الأب إلى «عاطف» الذي قال: إنني الآن على ما يرام.

مضى الأب في حديثه قائلًا: ومضى يوم الخميس على ما يرام … فقد كنتُ مشغولًا ببعض الاجتماعات … في حين كانت «لوزة» ووالدتها تقضيان الوقت على البلاج … وجاء يوم الجمعة ومضى على ما يرام أيضًا … ونمنا حوالي الساعة الحادية عشرة مساءً. وفي منتصف الليل تقريبًا دقَّ جرس التليفون، وكان المتحدِّث شخصًا أعرفه من بعيد … وقال لي بصوتٍ لاهث إن أخي الأصغر المهندس «يحيى» قد أُصيب في حادث سيارة بالقاهرة … وإنه في حالة خطرة، ويُريد أن يراني.

صمت والد «عاطف» لحظات، في حين كانت كل العيون معلَّقةً به … ثم مضى يقول: قمتُ فورًا وقرَّرتُ العودة إلى القاهرة وحدي … ولكن زوجتي التي استيقظَت على صوت جرس التليفون أصرَّت أن تأتي معي … ولبسنا ثيابنا بسرعة … وكانت «لوزة» تنام وحدها في غرفةٍ بعيدةٍ فلم تشعر بما حدث … وفضَّلت ألَّا أوقظها فلففتها في بطانيةٍ وحملتُها معي … ووضعتُها في المقعد الخلفي للسيارة وانطلقت … كان الخواطر السوداء تملأ رأسي … وتصوَّرتُ أنني سأصل إلى القاهرة بعد فوات الأوان … وأنني سأجد أخي قد مات … وهو من أحب إخوتي إليَّ، وأقربهم إلى نفسي …

وصمت لحظات، ثم قال: واخترتُ الطريق الصحراوي لأنه أقرب وأسرع … ولم أكن أنوي الوقوف طبعًا في «الرست هاوس» فقد كنت مُتعجِّلًا … ولكنني لاحظتُ أن مؤشِّر الحرارة في السيارة يكاد يقترب من المائة … وكان لا بد من الوقوف وملء «الرادياتير» بالماء حتى لا يحترق الموتور … وهذه أول مرة يسخن فيها الموتور إلى هذا الحد … وتوقَّفتُ في «الرست هاوس» حوالي الساعة الواحدة والنصف صباحًا … وملأت «الرادياتير» بالماء، ثم استأنفتُ رحلتي إلى القاهرة، فوصلتُ حوالي الثانية والربع … واتجهتُ فورًا إلى مسكن أخي الذي يقع في العمارات الجديدة قرب مستشفى المعادي.

كان «تختخ» يُتابع القصة باهتمام … وقد علقتْ بذهنه نقطتان مُهمَّتان من حديث والد «عاطف» … ولكنه لم يسرح معهما وعاد إلى الاستماع … مضى والد «عاطف» يقول: والعمارة التي يسكن فيها أخي «يحيى» من العمارات التي لم ينتهِ تشطيبها بعد … وهي مكوَّنة من تسعة أدوار … وبعض هذه الأدوار غير مسكونة لأنها لم تتم … صعدتُ أنا وزوجتي وفضَّلنا أن نترك «لوزة» نائمة … بعد أن أحكمتُ حولها البطانية التي غطَّيناها بها من أول الطريق.

وتنهَّد والد «عاطف» وهو يُكمل قصته قائلًا: ووصلنا إلى شقة أخي وقد بلغ بي من التعب والحزن كل مبلغ … ودققتُ الجرس بأصابع مرتعدة …

قاطعه المفتش سائلًا: ألم يذهبوا به إلى المستشفى وهو مصاب؟!

ردَّ والد «عاطف»: الذي حدَّثني لم يقُل لي أكثر من أنه مُصاب في حادث سيارة وحالته خطرة، وأغلق التليفون قبل أن أسأله عن بقية التفاصيل ... وكان من المنطقي أن أذهب أولًا إلى منزل «يحيى» لأسأل زوجته أو أحد أولاده عن مكانه ...

المفتش: معقول جدًّا ...

ومضى والد «عاطف» يقول: دققتُ جرس الباب فترةً طويلة ... وأخيرًا فُتح الباب ... وكانت المفاجأة ... فالذي فتح الباب لي كان أخي ... ولم يكن مُصابًا ... بل كان في كامل صحته ...

ماذا جرى لـ «المرسيدس»؟

سكت والد «عاطف» بعد هذه الجملة ... وكأنه حلقة من حلقات «هتشكوك» توتَّرت فيها الأعصاب، ثم حدث عكس ما يتوقَّع الجميع ... ولكن ما خطر ببال «تختخ» كان شيئًا آخر ... أو أشياء أخرى ... أبقاها حتى ينتهي والد «عاطف» من حديثه؛ فقد مضى منه جزء هام ... ولكن الجزء الأهم الخاص باختفاء «لوزة» لم يكن قد قاله بعد ... وهو الجزء الذي يُهمُّه ... الجزء الخاص باختفاء صديقته العزيزة.

كان المفتش «سامي» يكتب بعض النقاط في نوتة صغيرة سوداء ... ورفع رأسه إلى والد «عاطف» وقال: وبعد؟

مضى والد «عاطف» يقول: تعانقتُ أنا وأخي وقد انتقلتُ من الحزن الشديد إلى الفرح الممتع ... وحاول أن يُبقيني عنده، ولكني أخبرتُه أن «لوزة» في السيارة ... ونزلتُ مُسرعًا مع زوجتي فقد خشيت على «لوزة» برد الصباح.

قاطعه «المفتش» متسائلًا: برد الصباح! ... ألم تُغلق السيارة؟!

الأب: نعم أغلقتُها، ولكني تركْتُ جزءًا من الزجاج مفتوحًا حتى يتجدَّد الهواء داخل السيارة.

هزَّ المفتش رأسه وقال: وبعد؟ ...

مضى الأب يقول: وعندما اقتربنا من باب العمارة ونحن خارجان، رأيت سيارةً رمادية اللون تتحرَّك من الجانب الأيمن حيث تركت سيارتي، ثم انطلقَت مُسرعة ... ولكن ذلك بالطبع لم يلفت نظري ساعتها ... ولكني عندما وصلتُ إلى السيارة كانت البطانية الحمراء وكأنها على الكنبة الخلفية للسيارة، ولكن لم يكن هناك أثر لـ «لوزة».

وتنهَّد الأب بعمق، ثم قال: بالطبع لم يخطر ببالي أي شيء في هذه اللحظة، فقد تصوَّرتُ بالطبع أنها استيقظت من النوم ونزلت من السيارة، وسأجدها تقف قريبًا ...

وانتظرتُ لحظات ... ثم دققتُ آلة التنبيه وانتظرت ... ولكن «لوزة» لم تظهر، وقالت لي زوجتي إنها ربما ذهبت إلى شاطئ النيل؛ فهي تُحب رؤيته، وعبرتُ الكورنيش إلى النيل، وأخذتُ أنظر هنا وهناك، ولكن «لوزة» لم يكن لها أثر على الإطلاق!

عُدت إلى السيارة وأنا أتوقَّع أن تكون قد عادت ... ولكن زوجتي قالت إنها لم تظهر، وأخذنا نحن الاثنان ندور حول العمارة لعلها تكون واقفةً هنا أو هناك ... ولكن لم يكن هناك أثر لـ «لوزة».

وبدت أنفاس الحاضرين تتسارع ... فقد بدا واضحًا أن ثمة شيئًا قد حدث للمغامِرة الصغيرة ... ولا بد أنه عملية اختطاف.

وسأل المفتش: هل بحثتُم في العمارة نفسها؟

عاد الوالد يتنهَّد وهو يقول: بالطبع، دخلنا العمارة وصعدنا إلى جميع الشقق الخالية فيها ... وصعدنا إلى السطح ... ثم عندما لم نجِدها تصوَّرنا أنها ربما تكون قد صعدت عند عمها ... وهكذا عدنا لدق بابه ... ولكننا لم نجدها عنده أيضًا ... ولَمَّا أخبرناه بما حدث ارتدى ثيابه ... وأخذنا ندق كلَّ الشقق الساكنة ... وكان الناس جميعًا في دهشة لدقِّ أبوابهم في هذه الساعة المبكِّرة من الصباح ... فقد كانت الساعة قد أشرفَت على الخامسة.

وسكت الأب لحظات، ثم قال: ونزلنا إلى الطريق وعندنا بعض الأمل أن تكون «لوزة» قد عادت ... وكانت الشمس قد بدأت تُضيء المكان الذي كان شديد الظُّلمة ... ولكننا لم نجدها ... وبقي أمامنا أمل واحد ضعيف هو أن تكون قد ذهبت من تلقاء نفسها إلى بيتنا ... قالت زوجتي ربما تكون «لوزة» قد استيقظت ووجدت نفسها في السيارة وحيدة، فنزلت منها وأسرعت إلى منزلنا ... فركبتُ السيارة، وقدتُها بأقصى سرعة ونحن ننظر إلى الطريق لعلها تكون سائرة ... ولكنها لم تكن في الطريق ... ووصلنا إلى البيت، ولكنها لم تكن في البيت ... وانتظرنا نصف ساعة، ثم أبلغنا الشرطة.

ساد الصمتُ بعد أن استمع الجميع إلى هذا البيان الواضح لاختفاء «لوزة»، وكانت الساعة قد أشرفت على السابعة ... وبدا واضحًا أن المغامِرة الصغيرة قد اختُطفت ... فالمكالمة المجهولة ... والسيارة الرمادية ... وبقيَّة الأحداث كلها تدل على أن ثمَّة تدبيرًا مُحكمًا قد تم ... وأن «لوزة» كانت ضحية هذا التدبير بلا أدنى شك.

قطع الصمتَ المفتش «سامي» وهو يقول: عادةً لا نبدأ البحث عن أي غائب قبل ٢٤ ساعةً من اختفائه ... ولكن هذه الظروف والملابسات تدفعنا إلى سُرعة البحث عن «لوزة»، وسيقوم فريق من رجال البحث الجنائي بالذهاب إلى مكان الحادث للبحث والتحري ... وإنني متأكِّد أن رجالي من الكفاءة بحيث سيصلون إلى الجُناة بأسرع ما يمكن.

قام المفتش ... ووقف الجميع ... وخرج «تختخ» مع «عاطف» إلى الحديقة ... وهمس «تختخ»: اتصل بـ «محب» و«نوسة»، دعهما يأتيان؛ فيجبُ أن نذهب الآن إلى العمارة التي يسكن فيها عمك ... ونقوم بالبحث هناك.

ذهب «عاطف» للتليفون، في حين خرج «تختخ» إلى الحديقة، وشاهد المفتش «سامي» يقف مع الشاويش «علي» ومع والد «عاطف» ... وهم يتحدَّثون، فتركهم وسار وحيدًا في ممرَّات الحديقة، ووصل إلى «الجراج» ... وقف ينظر إلى السيارة التي شهدت المغامَرة ... وفكَّر لو أنها نطقت ماذا كان يمكن أن تقول؟ ... ثم همس: ولكني سأجعلها تتكلَّم!

اقترب من السيارة كانت من طراز «مرسيدس» ٢٣٠ / ٤ ... زرقاء داكنة ... وأخذ يُفكِّر في قصة والد «عاطف» ... وتذكَّر قوله إن الموتور سخن في الطريق الصحراوي ... وأنه اضطُر إلى الوقوف في «الرست هاوس» لملء «الرادياتير» بالمياه ... إنه يعرف هذه السيارة جيدًا ... ومثل هذا الحادث لا يمكن أن يقع لها ... وانحنى أمام السيارة ونظر تحتها ... وكانت مفاجأةً له أن المياه التي كانت بـ «الرادياتير» كلها قد كوَّنت بقعةً كبيرةً من الماء تحت «الرادياتير» ... وهذا يعني شيئًا واحدًا ... أن «الرادياتير» به ثقب ... نعم ... جهاز التبريد مثقوب ... وقد يكون هذا مجرَّد شيء يحدث لكل سيارة ... ومن الممكن أيضًا أن يكون بفعل فاعل ... وما دمنا بصدد حوادث مدبَّرة لخطف «لوزة»، فالمعقول أيضًا والمنطقي أن يكون هذا الثقب قد تمَّ بواسطة شخص ما.

ولكن السؤال — هكذا حدَّث «تختخ» نفسه — لماذا قام الشخص المجهول بعمل هذا الثقب؟! هل كان يُريد أن يحترق موتور السيارة في الطريق؟! لماذا؟ هل كان في نيته أن يخطف «لوزة» بالقوة في أثناء توقُّف السيارة في الطريق الصحراوي؟ وفي هذه الحالة ... هل كانت السيارة الرمادية تتبع «المرسيدس» طوال الطريق؟

أخذت الأسئلة تتزاحم على رأس «تختخ»، ووقف وأخذ ينظر إلى داخل السيارة ... كانت البطانية الحمراء ما تزال مكانها ... وقد سقط منها جزء على أرضية السيارة ... هنا إذن كانت تنام «لوزة» ... ومن هنا أيضًا تمَّ خطفها.

ولكن هل خُطفت «لوزة» وهي نائمة، حتى عندما حملها مختطفها أو مختطفوها من السيارة؟ إن المغامِر لا ينام مُطلقًا بهذا العمق؛ فهو يستيقظ عند أقل حركة ... فكيف ظلَّت «لوزة» نائمةً طوال الطريق؟ ... هل كانت تحت تأثير مخدِّر ما؟ ... إنه شخصيًّا جرَّب الوقوع تحت تأثير المخدِّر في مغامرة الرجل الثعلب ... ولكن كيف استطاع الخاطف المجهول دسَّ المخدِّر لها وهي مُقيمة مع والدها ووالدتها طوال الوقت؟!

في هذه اللحظة سمع صوت أقدام كثيرة على ممرَّات الحديقة، ونظر وشاهد «محب» و«نوسة» و«عاطف» قادمين ... كانت وجوههم حزينةً جدًّا وشاحبة ... وأسرعت «نوسة» تُلقي بنفسها بين ذراعَي «تختخ» وهي تقول بصوتٍ تخنقه الدموع: «لوزة» ... أين «لوزة»؟

أخذ «تختخ» يربت كَتِفها وهو يقول: لا تخافي ... ستعود «لوزة»، ستعود بإذن الله ... إن عندنا مهمَّةً شاقة ... يجب ألَّا نُضيع وقتًا.

وروى «تختخ» بسرعة ما سمعه لـ «نوسة» و«محب»، ثم حدَّث الثلاثة عن قصة ثقب «الرادياتير» ...

قال «محب»: من السهل جدًّا معرفة إذا كان الثقب طبيعيًّا أو تمَّ بفعل فاعل ... إن المهندس الميكانيكي الذي يُصلح سيارتنا مهندس ممتاز ... وأنا مُتأكِّد أنه سيتمكَّن من معرفة الحقيقة ... ولحسن الحظ أنه يسكن قريبًا من هنا.

وقبل أن يتحدَّث أحد كان «محب» قد انطلق جاريًا ... كان مثل بقية المغامرين ممزَّق القلب من أجل المُغامِرة الصغيرة ... المُغامِرة التي لا تكاد تهدأ إلا إذا وجدت مغَامَرةً تشترك فيها ... وهي الآن موضوع مُغامرة اختطاف ...

التفت «تختخ» إلى «عاطف» وقال: برغم أن والدك روى ما حدث أمس بالتفصيل؛ فإن هناك بعض الأسئلة التي أُريد أن أُلقيها على والدتك ... هل يمكن أن نُقابلها؟

عاطف: إنها في حالة سيئة جدًّا ... ولكن سأُحاول أن أُقنعها بالحديث معنا.

تفاصيل أخرى مهمَّة

في الطابق الثاني من منزل «عاطف» جلس المغامرون مع والدته … كانت شاحبة الوجه … ولكنها ثابتة الأعصاب … وكانت تعرف عن المغامرين الخمسة الكثير … وتعرف أنهم إذا انطلقوا وراء لغز فلا بد أن يصلوا إلى هدفهم.

قال «تختخ»: إنني آسف جدًّا لما حدث … ولكننا في حاجةٍ إلى كثيرٍ من التفاصيل حتى نُحدِّد أسلوب الخطف … ومن الذي وراءه؟ …

وصمت «تختخ» قليلًا، ثم قال: هل لكم أعداء من أي نوع؟ … إننا بالطبع لا بد أن نعرف صاحب المصلحة في خطف «لوزة» … فكل جريمة وراءها صاحب مصلحة فيها.

قالت الأم: لا أعرف لنا أعداءً بالمعنى الذي تقصده … وأنت تعرفنا جيدًا …

تختخ: إذن فلنتحدَّث في التفاصيل … هل سبق للسيارة «المرسيدس» أن سخنت إلى هذا الحد؟

الأم: مطلقًا … فمؤشِّر الحرارة دائمًا كان نحو ٨٠ درجة، وهي الدرجة العادية للموتور.

نظر «تختخ» إلى الأصدقاء، ثم عاد يسألها: وأين تضعون سيارتكم عندما تكونون في الإسكندرية؟

الأم: في «الجراج» المجاور لشقتنا في حي «رشدي» … لقد زرتَنا هناك … و«الجراج» في العمارة المجاورة لنا هناك … والمسئول عنه عم «سيد». إنه يعرفنا منذ أكثر من عشرة أعوام.

أشار «تختخ» إلى «محب» فكتب الاسم، وسأل «تختخ»: هل هو رجل طيب يُوثق به؟

الأم: نعم.

تختخ: عندما وصلتكم المكالمة التليفونية المجهولة، وحملتم «لوزة» ... هل كانت ما تزال بملابس النوم؟

الأم: نعم ... تركناها كما هي بملابس النوم، فقط لففناها في البطانية الحمراء التي ما تزال في السيارة.

تختخ: وهل كانت بدون حذاء؟

الأم: طبعًا ... كما كانت نائمةً تمامًا!

تختخ: وماذا حدث في «الرست هاوس»؟

الأم: عندما شاهد زوجي مؤشِّر الحرارة في الموتور يرتفع باستمرار ... كان لا بد من التوقُّف لإحضار مياه ووضعها في جهاز التبريد (الرادياتير)، وكنا قد اقتربنا لحسن الحظ من «الرست هاوس» ... فدخلنا إلى هناك.

تختخ: هل كانت سيارات أخرى غير سيارتكم في موقف «الرست هاوس»؟

الأم: كانت هناك سيارة واحدة ...

تختخ: هل تذكرين لونها؟

الأم: لا ... فقد كانت الدنيا مُظلمةً تمامًا ... ونحن في آخر الشهر العربي.

تختخ: هل تحرَّكت قبلكم؟

الأم: لا ... بقيت حتى انصرفنا.

تختخ: وماذا حدث هناك؟

الأم: نزل زوجي لإحضار المياه ... كان موقف «الرست هاوس» خاليًا ولا أحد هناك ... ونزلتُ معه لأشرب كوبًا من الماء؛ فقد كنتُ في غاية العطش.

تختخ: وهل تُركت السيارة مفتوحة؟

الأم: لا ... أغلقناها بالمفتاح ... ولكن تركنا جزءًا صغيرًا من الزجاج مفتوحًا حتى لا يفسد الهواء داخل السيارة، و«لوزة» نائمة فيها.

تختخ: وكم قضيتم داخل «الرست هاوس»؟

فكَّرت الأم لحظات، ثم قالت: قضينا وقتًا طويلًا نسبيًّا ... ربما عشر دقائق أو ربع ساعة ... فلم يكن هناك أحد لمساعدتنا سوى شاب يقف لخدمة الزبائن ... ثم بحثنا عن إناءٍ مناسبٍ لحمل الماء ... ولمَّا وجدنا واحدًا — كان صغيرًا — اضطُر زوجي إلى ملئه ثلاث مرَّات قبل أن تأخذ السيارة كفايتها.

تختخ: وبعد ذلك؟

الأم: تحرَّكنا في اتجاه القاهرة ... وكان الطريق خاليًا، فقاد زوجي السيارة بسرعة عالية ... وقد اضطُررت إلى تنبيهه مرارًا.

تختخ: وهل ظلَّت «لوزة» نائمةً برغم السرعة العالية؟

الأم: نعم ... وبين لحظةٍ وأخرى كنتُ أنظر إليها فأجدها نائمةً تحت البطانية الحمراء.

تختخ: ثم ...

الأم: ثم وصلنا إلى المعادي ... وصعدنا إلى شقة «يحيى» شقيق زوجي ...

تختخ: وأغلقتما السيارة؟

الأم: نعم ... وتركنا جزءًا من الزجاج مفتوحًا أيضًا.

تختخ: وكم قضيتما في العمارة ... قبل أن تنزلا؟

الأم: بين خمس عشرة إلى عشرين دقيقة ...

تختخ: وعندما نزلتما لم تجدا «لوزة»؟

تنهَّدت الأم وقالت: نعم ... نظرتُ إليها لأطمئن، فوجدتُ البطانية ولم أجدها!

تختخ: وهل لاحظتِ السيارة الرمادية التي انطلقت من جانب السيارة «المرسيدس» عندما نزلتما؟

الأم: نعم رأيتها.

تختخ: ألَا تذكرين رقمها؟

الأم: لم أُفكِّر في النظر إليه ... فلم نُفكِّر مُطلقًا أن هذا يمكن أن يحدث!

سكت «تختخ» وسكتت الأم ... وساد الصمت ... وسمعوا صوت والد «عاطف» وهو يُنادي زوجته، التي قامت مُسرعةً تلبيةً لندائه ... في حين بقي المغامرون معًا.

كان «تختخ» مقطب الجبين ... مستغرقًا في تفكير عميق ... وكان بقية المغامرين يجلسون صامتين ... وفجأةً قال «تختخ»: أمامنا عملٌ كثير ... اذهبوا أنتم الثلاثة إلى منزل عم «عاطف». خذوا معكم «زنجر» وهو موجود في الخارج الآن ...

نوسة: ما هي خطتك بالضبط؟ ولمَ لا تأتي معنا؟

تختخ: عليكم أنتم الثلاثة أن تذهبوا إلى العمارة التي يسكن بها عم «عاطف». ابحثوا هناك عن أي أدلة ... ابحثوا عن نوع عجلات السيارة الرمادية ... كيف كانت تقف؟ في أي اتجاه سارت؟ هل هناك أي شهود؟ أين كان البوَّاب؟ إنني لم أسمع اسمه في القصة كلها! ... ثم ابحثوا عن آثار «لوزة» ... لقد كانت حافيةً كما سمعتم من أمها ... هل سارت على الأرض؟ إذا لم تكن هناك آثار فمعنى ذلك أنها حُملت من السيارة إلى السيارة الثانية ...

ومن الواضح أن الجُناة استطاعوا فتح باب السيارة بواسطة سلك دَلُّوه من فتحة الزجاج التي تُركت حتى يتجدَّد الهواء لـ «لوزة»، وهي حيلة سهلة جدًّا لفتح أبواب السيارات، يلجأ إليها كل لصوص السيارات تقريبًا ... وبالطبع المفتش «سامي» يعرف هذا جيدًا ... وفي الأغلب أن رجاله سوف يتمكَّنون من رفع البصمات من على الباب والزجاج ... إذا كانت هناك بصمات ولم تطمسها بصمات والد «لوزة» وأمها ...

كان «تختخ» يتكلَّم بسرعة ... كأنه يُطلق مدفعًا رشَّاشًا ... وكان الأصدقاء الثلاثة يستمعون إليه بآذان مفتوحة ...

وقال «عاطف» فجأة: إنني قد أُضطر للبقاء هنا مع أبي وأمي ... إنهما في غاية الحزن، وليس من السهل تركهما وحدهما.

تختخ: لا بأس ... ابقَ أنت هنا ... ولكن عليك واجبٌ من أهم ما يكون ... ابحث عن الدافع وراء خطف «لوزة» ... كما تعلمون إن تحديد الدافع يُحدِّد الفاعل ... وعليك أن تسألهما مرارًا وتكرارًا ... إنهما قد يتذكَّران شيئًا صغيرًا يُنير لنا الطريق.

نوسة: وأنت ... إنك لم تذكر المهمة التي ستقوم بها!

تختخ: سأذهب إلى الإسكندرية.

نوسة: الإسكندرية! ... لماذا؟ ... إن «لوزة» خُطفت في القاهرة!

تختخ: هذا صحيح ... ولكن القصة بدأت في الإسكندرية ... إنني أعتقد أن طرف الخيط سيكون هذا الرجل الذي أحدث الثقب في «رادياتير» السيارة «المرسيدس» ... إن دوره صغير جدًّا ... ولكنه مهم جدًّا ... وهذا الرجل من الممكن العثور عليه ... فإذا تكلَّم سيكشف كل شيء.

محب: ومتى تُسافر؟

تختخ: الآن.

البحث عن «عباس الأقرع»

مرَّ «تختخ» بمنزله فغيَّر ثيابه ... وأخذ كلَّ ما ادَّخره من نقود، ثم انطلق إلى محطة قطار المعادي ... ومن محطة باب اللوق استقلَّ تاكسيًا إلى باب الحديد ... وأسرع إلى موقف السيَّارات وقفز إلى أول سيارة في طريقها إلى الإسكندرية ... ولم تكَد السيارة تتحرَّك حتى استغرق في النوم ... لقد استيقظ مبكِّرًا عن عادته ... وهو في حاجة إلى أكبر قدر من الرَّاحة، خاصةً بعد ساعات التوتُّر التي مرَّ بها منذ عَلِم أن «لوزة» قد خُطفت.

استيقظ قُرب دمنهور ... فعرف أنه نام نحو ساعة ونصف ساعة ... وأحسَّ أنه نشيط ولكنه جائع ... ولم يكد يصل إلى الإسكندرية حتى التهم بضعة «ساندويتشات» من الفول والطعمية، أتبعها بكوبٍ من الشاي ... وأصبح مستعدًّا لخوض المعركة المقبلة ... كان يعرف منزل «عاطف في «رشدي» فاتجه إليه ... وعندما وصلَ قُرب «الجراج» الذي كان والد «عاطف» يضع فيه سيارته، توقَّف على الرصيف الآخر، وأخذ ينظر حوله، ثم اتجه بعينَيه إلى «الجراج» ... وأدرك أنه من السهل أن يدخل شخص إلى الجراج، ويقوم بأيِّ عمل بدون أن يُحسَّ به «سايِس» «الجراج» إذا كان وحده ... ف «الجراج» له ثلاثة أبواب ... اثنان منها على الشارع ... والآخر يُطل على شارع جانبي ضيق. وكانت السيارات متراصَّة ... وأي شخص يثني رأسه ويعبر بين السيارات من الصعب رؤيته ...

أحسَّ بخيبة أمل ... لقد جاء مُتحمِّسًا لأن يَصِل إلى الشخص الذي ثقب «الرادياتير»، ولكن الشواهد تقول إنه لن يصل إلى شيء ... وفكَّر قليلًا، ثم عبر الشارع الواسع إلى «الجراج» ... ودخل ... ولم يرَ أحدًا في البداية؛ فقد كان «الجراج» واسعًا ومُظلمًا ... ولكنه سمع من يقول: أي خدمة يا أستاذ؟

ثم ظهر رجل عجوز نحيل جدًّا ... يلبس «الأفرول» الأزرق الذي يرتديه الميكانيكية عادة ... وردَّ «تختخ»: جئتُ أبحث عن عم «سيد».

الرجل: إنني «سيد» ... وأذكر أنني رأيتك من قبل.

تختخ: أعتقد أنني رأيتك أيضًا ... لقد كنتُ أحضر مع صديقي «عاطف».

الرجل: تذكَّرتُ الآن ... نعم منذ عامَين كنتَ هنا.

تختخ: هل تعلم ماذا حدث لأخته الصغيرة؟

الرجل: لا ... آخر مرة رأيتها فيها كان بالأمس ليلًا، وكان والدها يحملها بين ذراعَيه وهو مستعجل للذهاب إلى القاهرة.

تختخ: لقد اختُطفت!

قالها وهو ينظر إلى الرجل نظرةً فاحصةً ليرى آثار ردِّ الفعل على وجهه ... فلو كان مشتركًا في عملية الخطف ... فلا بد أن يحدث له رد فعل يمكن ملاحظته على ملامح وجهه، ولكن الرجل أبدى دهشةً مقرونةً بالحزن وقال: اختُطفت! ... كيف؟ ومتى؟

تختخ: لقد اختفت من السيارة!

الرجل: «المرسيدس» الزرقاء؟

تختخ: نعم ... بالمناسبة ... هل شككتَ في أي وقت أن بهذه السيارة أي خلل؟

الرجل: مُطلقًا ... إنها سيارة ممتازة، وهي موضع رعاية صاحبها ...

تختخ: إنكَ المسئول عن نظافتها ومراعاة كمية مياه التبريد فيها ... فهل لاحظتَ في أي وقتٍ أن المياه تتسرَّب من «الرادياتير»؟

الرجل: مطلقًا ...

تختخ: إن هناك يدًا آثمةً ثقبت «الرادياتير» ... فقد كادت السيارة أن تحترق في الطريق ليلًا ... لولا يقظة والد «عاطف».

وهنا خطرتْ ببال «تختخ» فكرة غريبة ... لماذا ثقبوا «الرادياتير»؟ هل كان المقصود فقط إحراق السيارة؟ ولماذا؟

ولكن لم يكن هناك في هذه اللحظة وقت للاستغراق في التأمُّل ... فعليه أولًا أن يعرف من الذي ثقب «الرادياتير» ... وبعد ذلك يمكن سؤاله ... وهكذا عاد لسؤال عم «سيد» العجوز: هل تعمل هنا وحدك؟

الرجل: لا ... يُساعدني عادةً اثنان من العُمَّال ... ولكنهم أصبحوا الآن ثلاثةً بعد أن انضمَّ إلينا منذ أيام «عباس الأقرع».

تختخ: وهل تعرفهم جميعًا؟

سيد: أعرف الاثنَين الأولَين ... ولكن الولد «عباس» الذي انضمَّ إلينا مؤخَّرًا لا أعرفه جيدًا ... لقد تعرَّفت به على المقهى الصغير في أول الحارة.

تختخ: وأين هو؟

سيد: لم يحضر هذا الصباح ... لا أدري لماذا؟

تنبَّه «تختخ» لهذه الجملة وقال: هل كان سهران معكم أمس؟

سيد: قضى معنا أول الليل فقط ... ثم استأذن في الانصراف.

تختخ: وكيف أستطيع مقابلته؟

سيد: إنني لا أعرف له مكانًا ... في الأغلب ستجده على مقهى المعلم «سلامة» في أول الحارة ... إنه ولد نحيل ... في نحو السادسة عشر من عمره ... وأقرع!

وأشار «سيد» بيده عدة إشارات يُوضح بها الطريق إلى المقهى، فقال «تختخ»: سأذهب للبحث عنه وقد أعود إليكَ بعد ذلك.

ومشى «تختخ» في اتجاه المقهى حسب إشارات «سيد» ووجده ... كان مقهًى صغيرًا يضم مجموعةً من العجائز يلعبون الطاولة و«الدومينو» ... وبعض العاطلين يلعبون الورق ويتصايحون ... وكان ثمَّة رجل يجلس على نَصبة عالية في طرف المقهى يُدخِّن الشيشة وهو مستغرق في التفكير ... وشمل «تختخ» المقهى بنظرة باحثة ... ولم يجِد أحدًا تنطبق عليه أوصاف «عباس الأقرع» ... فمضى إلى الرجل الذي يُدخِّن الشيشة والذي استنتج أنه المعلم «عباس» ...

قال «تختخ»: صباح الخير يا معلم «عباس».

ردَّ الرجل بصوت ثقيل وهو يتأمَّل «تختخ»: صباح الخير يا أفندي!

تختخ: جئتُ أسأل عن «عباس الأقرع»؟

سرح المعلم لحظات وهو يكركر بالشيشة، ثم قال: لم يظهر اليوم ... اسأل عنه في محل «العجلاتي» في آخر الحارة.

شكر «تختخ» المعلم وخرج ... وقد ازداد إصراره على أن يصل إلى «عباس الأقرع» هذا مهما كلَّفه الأمر ... سار في الحارة حتى نهايتها ... وجد محل الدراجات، وكان ثمَّة خمسة أو ستة أشخاص يقفون حول المحل ... وبعض الأولاد يستأجرون درَّاجات ... وهناك ثلاثة أولاد يقومون بتصليح الدرَّاجات وغسلها ... واختار «تختخ» أحد الأولاد الذين يغسلون الدرَّاجات وقال له: من فضلك ... أسأل عن «عباس الأقرع».

ردَّ الولد: لم أرَه اليوم ... اذهب إلى منزلهم واسأل عنه.

تختخ: وأين هذا المنزل؟

الولد: في «غيط العنب».

تختخ: إن هذا بعيد جدًّا! ... هل عندك عنوانه؟

الولد: لا ... إنني أعرف فقط أن أذهب إليه ... ولكني لا أعرف العنوان.

تختخ: هل تأتي معي؟

الولد: وأترك شغلي؟!

تختخ: بعد أن تنتهي من شغلك ... سأُعطيك خمسين قرشًا.

لعق الولد شفتَيه بلسانه وقال: سأستأذن من الأسطى وآتي معك ... ولكن أعطني النقود أولًا.

تختخ: بعد أن تأخذ الإذن سأُعطيك النقود.

أسرع الولد في غسل أجزاء الدرَّاجة بالجاز ... وعندما انتهى منها قفز إلى داخل المحل، وغاب دقائق، ثم ظهر مرةً أخرى بعد غسل يدَيه، وأشار إلى «تختخ» فسار بجواره ...

قال الولد: لماذا تُريد «عباس الأقرع»؟ هل عندك تسليكة؟

حاول «تختخ» أن يفهم معنى التسليكة هذه ... واستنتج أنها شيء ضد القانون، فقال: نعم.

الولد: أي صنف؟

تختخ: ستعرف عندما نُقابل «عباس».

الولد: يمكن أن أُساعدك أفضل من «عباس الأقرع» ... إنه ولد شرير!

تختخ: إنني أُريده ... فعندي رسالة له.

كان ذهن «تختخ» يعمل بسرعة ... فما دام سيُقابل «عباس الأقرع»، وما دام هو ولد يُكلَّف بمهمَّات غير قانونية؛ فلا بد أن يخترع له حكايةً مناسبةً حتى يدفعه للكلام.

قال «الولد» عندما وصلا إلى الكورنيش: سنأخذ الأوتوبيس حتى محطة الرمل، ومن هناك نأخذ أوتوبيسًا آخر إلى «غيط العنب».

وقفا على محطة الأوتوبيس ... كان ذهن «تختخ» مشغولًا تمامًا ... إنه قد يضع يده قريبًا على أول خيط في عملية خطف «لوزة» ... وعليه أن يكون حَذِرًا ... ووصل الأوتوبيس، وأشار له الولد فقفزا معًا إليه. كان مزدحمًا ... وخشي «تختخ» أن يفقد آثار الولد ... فأخذ ينحشر بين الراكبين ليكون قريبًا منه ... وسارَ الأوتوبيس حتَّى وصل إلى محطة الرمل ... وقفزا منه ... ثم ركبا أوتوبيسًا آخر كان أكثر ازدحامًا ... وبين عشرات الراكبين أخذا يُحاولان البحث عن مكان لهما ...

وسار الأوتوبيس ... وجاء الكمساري فقطع «تختخ» تذكرتَين له وللولد ... ثم أخذ ينظر إلى الشوارع من خلال النافذة ... كان يسمع عن حي «غيط العنب» الشعبي في

آخر الإسكندرية ... وأخذ يتصوَّر اللحظات القادمة ... هل سيقنع «عباس الأقرع» بالكلام عن المهمَّة التي قام بها أمس ليلًا؟ ... إنها ستكون خبطةً موفقةً لو حدث هذا ... وأخذ الأوتوبيس يقف من محطة إلى أخرى حتى عبر كوبري كرموز الضيق، ودخل إلى حي «غيط العنب» المزدحم.

صديقان

بعد محطة واحدة داخل الشارع الرئيسي في «غيط العنب»، نزل «تختخ» مع الولد الذي لم يكَد يضع قدمَيه على الأرض حتى أشار إلى كوخٍ من الصفيح الصدئ وقال: هنا ستجد «عباس الأقرع». هاتِ الخمسين قرشًا.

وضع «تختخ» يده في جيبه الأيمن حيث اعتاد أن يضع نقوده ... ولكن لم يكن هناك نقود ... فزع قليلًا ولكنه تصوَّر أن يكون قد نقلها من هذا الجيب إلى الجيب الآخر في أثناء قطع التذاكر ... وأسرعت أصابعه إلى الجيب الأيسر ... ولكن لم يكن هناك شيء ... وتسارعت دقَّات قلبه ... وأخذ يتحسَّس بقية جيوبه كالمجنون ... ولكن لا أثر للنقود ... وصاح الولد: لقد خدعتني! ... إنك لم تكن تملك نقودًا!

قال «تختخ»: أبدًا ... لقد نُشِلت في الأوتوبيس!

ولم يتلقَّ «تختخ» ردًّا على كلماته ... لقد تلقَّى لطمةً قاسيةً من يد الولد، وأحسَّ أنه سيسقط، ولكن تمالك نفسه ... ولكن الضربات انهالت عليه مع مجموعة منتقاة من السباب واللعنات ... وتجمَّع عدد كبير من الأولاد أحاطوا بهما ... وحاول «تختخ» أن يتَّقي الضربات بدون أن يتشاجر ... ولكن الولد استمرَّ في تسديد اللكمات إليه ... ولم يجد «تختخ» بُدًّا من الرد ... فوجَّه إلى الولد لكمةً بقبضة يده اليسرى في بطنه ... أتبعها بأخرى بيده اليمنى في وجهه ... وترنَّح الولد ... وتصايح الأولاد ... ولكن الولد قام مُسرعًا واتجه كالصاروخ ناحية «تختخ»، وضربه برأسه ضربةً موجعةً في بطنه ... فترنَّح وكاد يسقط، ولكنه استند إلى عمود الإنارة ... ثم طوَّح بقدمه في بطن الولد الذي صرخ من الألم ... واشتبك الاثنان بالأيدي، والأولاد حولهما يتصايحون ... اضرب ... اضرب ... وخُيِّل لـ «تختخ» أنه في حلم ... ماذا حدث بالضبط؟! إنه مشتبك في معركة في مكان بعيد مع ولد لا يعرف اسمه!

وفجأةً في وسط هذه الفوضى يظهر ولد رفيع حاد الملامح ويقول: قف ... ما هذا؟

دخل بشجاعة إلى ساحة «الخناقة»، وابتعد الأولاد جميعًا من طريقه ... ورآه «تختخ» وعرف على الفور أنه «عباس الأقرع» ... فقد كان رأسه خاليًا من الشعر ... وقد بدت في وجهه آثار جراح قديمة تُؤكِّد أنه ذو ماضٍ عريق في المشاجرات و«الخناقات» ... وتوقَّف «العجلاتي» عن توجيه الضربات لـ «تختخ»، الذي توقَّف هو الآخر ... ووقفا وقد تسارعت أنفاسهما ينظران إلى الولد ذي الملامح القاسية الذي اقتحم المكان.

قال «العجلاتي»: لقد وعدني بخمسين قرشًا إذا أوصلته إليك! ولكنه بعد ذلك ادَّعى أنه نُشِل في الأوتوبيس ولم يُعطني النقود!

نظر «الأقرع» إلى «تختخ» الذي كان يتأمَّله وقال: هل نُشِلت حقًّا؟

تختخ: طبعًا ... كيف أعده ولا أعطيه؟!

الأقرع: من أين أنت؟

تختخ: من القاهرة!

الأقرع: وماذا تُريد مني؟

تختخ: سأتحدَّث إليكَ على انفراد.

التفت «الأقرع» إلى الولد «العجلاتي» وقال: سأُعطيك الخمسين قرشًا ... تعالَ في المساء! وسحب «الأقرع» «تختخ» من يده، وسارا مبتعِدَين عن مجموعة الأولاد الذين وقفوا يُتابعونهما بالنظرات حتى دخلا العشَّة الصفيح.

أشار «الأقرع» إلى حوض صغير وقال: اغسل وجهك ويدَيك ... سأعود لكَ حالًا.

وأسرع «تختخ» يغتسل. كان يشعر أنه متعبٌ وجائع ... فلمَّا انتهى من الاغتسال وجد حصيرةً موضوعةً على الأرض، فجلس عليها ... ومضى ربع ساعة بدون أن يظهر «عباس الأقرع»، ثم سمع صوت خطوات مُقبلة، وفتح الباب ووجد «عباس» ... يدخل وقد حمل بين يدَيه لفَّةً من «السندوتشات» ... كانت رائحتها تُؤكِّد أنها «ساندويتشات» كبدة ومخ. وفتح «عباس» اللفَّة وجلس بجوار «تختخ» على الأرض، وقال ببساطة: كُل ... لا بد أنك جائع.

لم ينتظر «تختخ» دعوةً ثانية؛ فقد انقضَّ على الطعام، ووجده لذيذًا وحاميًا، خاصةً مع قطع المخلَّل المتبَّلة بالثوم ... وأحسَّ وبطنه يمتلئ بالعرفان بالجميل لهذا الولد الشرير ... وتحيَّر ماذا يقول له ... هل يخدعه؟ ... أو يقول له الحقيقة كلها؟ ... إنه ليس بالتأكيد من العصابة التي خطفت «لوزة»؛ فمثل هذا الولد لا يكون عضوًا في عصابة خطف ... إنه مجرَّد أداةٍ استُخدمت، ثم انتهى دورها.

دخلت سيدة عجوز تلبس السواد، وبيدها صينية عليها أكواب الشاي ... وعندما رشف «عباس الأقرع» أول رشفة من كوبه قال لـ «تختخ»: والآن ... ماذا تُريد مني؟

رشف «تختخ» رشفةً من كوبه هو الآخر ليأخذ ثواني أخرى للتفكير، ثم قال: اسمع يا «عباس» ... إنك متهم في قضية خطيرة!

لم يبدُ على الولد المتشرِّد الأقرع أي أثر لهذه الجملة التي اختارها «تختخ» بعناية لإحداث أكبر تأثير في الولد ... بل قال على الفور: دعك من هذه المقدِّمات ... ماذا تُريد مني؟

ذُهل «تختخ» أمام ثبات الولد ... وفكَّر لحظات، ثم قال: ما جئتك من أجله متصل بهذه القضية؛ فأنت قُمت بإحداث ثقبٍ في «رادياتير» سيارة «مرسيدس» كانت تقف في جراج «الوفاء» بحي «رشدي»!

انتظر «تختخ» لحظات ... لعله مخطئ ... لعل «عباس الأقرع» ليس هو الذي أحدث الثقب في جهاز تبريد السيارة ... ولكن «عباس» قال ببساطة متناهية: نعم ... هذا حدث!

تختخ: إن هذه كانت بدايةً لخطة إجرامية لخطف بنت من والدَيها!

لأول مرة بدت على وجه «عباس الأقرع» بعض الانفعالات وقال: خطف! لقد قالوا لي إنهم يُريدون شراء السيارة «المرسيدس» من صاحبها ... ويُريدون إقناعه أن بها خللًا حتى يخفض الثمن، وطلبوا مني إحداث الثقب، حتى إذا ما أدار السيارة وسخن الموتور قالوا إنها سيارة معيبة حتى يرضخ صاحبها ويخفض الثمن.

تختخ: لقد خدعوك! ... وشرطة مصر كلها تُطاردهم الآن ... وسوف يقعون في أيدي الشرطة مهما حاولوا ... وسيصل التحقيق إليك ... وفي هذه الحالة ستُحاكم بصفتك شريكًا في جريمة الخطف ... وهي جريمة خطيرة ... بل هي من أخطر الجرائم، وعقوبتها سنوات وسنوات وراء أسوار السجون.

ساد الصمت لحظات ... ولم يكن يقطعه إلا صوت رشفات الشاي ... ولا يدري «تختخ» لماذا أحسَّ بأن هذا الولد برغم شهرته الشريرة يحمل قلبًا طيبًا! وقد كان ذلك صحيحًا؛ فقد ردَّ الأقرع قائلًا: لقد جرَّبت دخول إصلاحية الأحداث مرات ومرات ... ولستُ أخاف أن أذهب مرةً أخرى ... إن ذلك لا يُهمُّني، ولكن ما يُهمُّني حقًّا هو هذه البنت التي خطفوها!

ثم أخذ رشفةً طويلةً من كوب الشاي، ونظر إلى «تختخ» وقال: هل هي قريبتك؟

ردَّ «تختخ»: إنها أكثر من قريبتي ... إنها صديقتي!

عباس: وما هو اسمك؟

تختخ: اسمي «توفيق»!

عباس: واسمها؟

تختخ: نحن نُناديها باسم مختصر هو «لوزة»!

عباس: وهل جئتَ خصوصًا لمقابلتي لهذا الغرض ... لإنقاذ صديقتك؟

تختخ: نعم ...

عباس: إنك ولد شجاع ... وأنا أحب الشجعان، وسوف أُساعدك ... ولكن قُل لي أولًا ... كيف عرفت أنني ثقبت «رادياتير» السيارة «المرسيدس»؟

وروى «تختخ» له ما سمعه ... وذهابه إلى «الجراج» ... وسؤاله عنه ... والمشوار من «رشدي» إلى «غيط العنب»، وكيف تمَّ نشله!

وضحك «عباس» وقال: سأُحضر لك ما نُشل منك!

ذُهل «تختخ» وقال: كيف؟

عباس: إنني أعرف كل نشَّالي الإسكندرية ... خاصةً الذين يعملون على خط «غيط العنب» ... وسوف نذهب الآن لمقابلتهم ... إنهم يعودون في المساء ويجتمعون عند المعلم «كنجة»، ونحن لا ننشل أصدقاءنا، وأنت صديقي فقد أكلنا معًا عَيْشًا وملحًا!

ابتسم «تختخ» لأول مرة منذ الصباح ... فقد أصبح صديقًا لهذا الولد المشهور بالشر ... وأنه قد وضع يده على أول الطريق إلى معرفة كيف خُطفت «لوزة»، ومن الذي خطفها ... ولكن لم يسترسل طويلًا في خواطره ... فقد سمعا صوت خطوات سريعة أمام باب العشَّة الصفيح ... ثم فتح الباب فجأةً وأطلَّ وجه ولد متسخ الثياب، وصاح الولد: بصاص ... بصاص ...

وقفز «عباس» وجذب «تختخ» معه وهو يقول: هيا ... اجرِ!

جرى «تختخ» بجوار «عباس» بدون أن يدري ما السبب ... ووجد نفسه في مكان مُظلم لا يدخله بصيص من النور ... ثم يجتاز دهليزًا طويلًا تناثرت على جانبه الغُرف المغلقة، وانتشرت فيه رائحة السمك المملَّح، وشاهد مجموعةً من البراميل الكبيرة الموضوعة في ساحة واسعة ... اجتازاها جريًا، ثم وصلا إلى سور مرتفع من الحجر عليه الأسلاك الشائكة، وتسلَّق «عباس» السور كالقرد، ونفذ من خلال فتحة في الأسلاك، وتبعه «تختخ» وانحدرا إلى الأرض ... وكانت مُغطاةً بعشرات من قضبان السكة الحديد ... واجتازاها جريًا ... ثم قفزا من سور آخر، وأصبحا وحيدَين في منطقة من البراري الموحشة ... واشتمَّ «تختخ» رائحة المياه العطنة، وأدرك أنه قريب من بركة كبيرة من المياه.

من هي الفتاة الثانية؟

دخلا إلى عشة من البوص، وجلسا يلهثان ... كان «تختخ» في دُوامة من التفكير فيما حدث ... وكان هناك تفسير واحد ... إن الشرطة تُطارد «عباس الأقرع» ... فهل كانت تُطارده بسبب قضية خطف «لوزة»؟ أم لسبب آخر؟! إذا كان بسبب قضية «لوزة»؛ فمعنى هذا أن المفتش «سامي» قد التقط نفس الخيط ... وأنه في مكان قريب منه ... فماذا يفعل؟

وكأنما كان «عباس» يقرأ أفكاره فقد قال: طبعًا فهمت ... الشرطة تطاردني ... ولست أعرف لماذا؟ فهناك عشرات الأسباب لكي تُطاردني الشرطة ... وكل ما أرجوه إذا كنتَ حقًّا صديقي ألَّا تُبلغ عني.

لم يردَّ «تختخ» على هذه الملاحظة ... ولكن سأل «عباس»: متى نخرج من هنا؟

ردَّ «عباس»: عندما يهبط الظلام ... ولن نعود إلى «غيط العنب» الليلة ... فلا بد أن الشرطة ستُفتِّشها شارعًا شارعًا، وحارةً حارة، ومنزلًا منزلًا ...

تختخ: ولكن بقي وقت طويل على هبوط الظلام!

عباس: تستطيع أن تنام ... فأنا شخصيًّا سأنام ... وليس هناك حل آخر ... أنصحك ألَّا تُحاول الخروج ... فهذه منطقة خطرة يعيش فيها الهاربون والخارجون على القانون.

تختخ: لن أخرج ... ولكن هناك معلومات هامة أُريد أن أسمعها منك!

عباس: بعد أن نستيقظ ... فأمامنا وقت طويل في الليل للحديث.

وتكوَّم «عباس» مكانه ... وبعد لحظات سمع «تختخ» صوت تنفُّسه المنتظم، وعرف أنه قد نام ... وعجب كيف يستسلم للنَّوم بهذه البساطة وقوات الشرطة تُطارده ... ولم يكن أمامه هو الآخر إلا أن ينام ... فقد قضى يومًا مُرهقًا ... وتكوَّم مكانه هو الآخر ... وسرعان ما استسلم للرقاد.

استيقظ «تختخ» على يد تهزه … فتح عينَيه فوجد الظلام يُحيط بكل شيء … وللحظة لم يدرِ أين هو، ثم سمع صوت «عباس» يقول له: هيا بنا!

وقام «تختخ»، كان أكثر انتعاشًا … وخرج إلى الفضاء الذي يُحيط بالعشَّة … كانت السماء مُلبَّدةً بغيوم خفيفة تُخفي وجه القمر … وتجعل الرؤية متعذِّرة … ولهذا قال «عباس»: ابقَ بجانبي … إنني أحفظ الطريق كما أحفظ حارتنا.

ومشيا معًا … وساد الصمت لحظات … لم يكن هناك سوى نقيق الضفادع، وصرير صراصير الحقل … ونسمات الريح … وطَنِين الناموس الذي كان يطير في مجموعات كثيفة كأنه غمامة بيضاء.

قال «تختخ»: إن ما جئتُ من أجله لم يتحقَّق منه شيء … إنني أُريد أن أعرف الرجال الذين اتفقوا معك على ثقب «الرادياتير».

لم يردَّ «عباس» على الفور … ومضى يمشي و«تختخ» بجواره وهو يُحاول إبعاد البعوض المتكاثف عن وجهه … وأحسَّ بالقلق … إن «عباس» لا يُجيب … وفي النهاية نطق «عباس» قائلًا: هل تعرف أن هناك كلمة شرف بين اللصوص؟

لم يردَّ «تختخ»، فمضى «عباس» يقول: هذا يعني أن لصًّا لا يمكن أن يشي بلص آخر …

سكت «عباس الأقرع»، فقال «تختخ»: إن القضية ليست سرقة بضعة جنيهات. إنها قضية خطف فتاة ليس لها ذنب … ثم إن هؤلاء الناس خدعوك … لقد حدَّثوك عن سيارة ستباع … ولكنهم لم يُحدِّثوك عن فتاة ستُخطف.

فكَّر «عباس» لحظات، ثم قال: نعم … أُوافقك … لقد خدعوني … وربما لو حدَّثوني عن فتاة ستُخطف لَمَا اشتركتُ في هذه العلمية … لهذا …

وسكت دقيقةً كاملةً قبل أن يقول: سأُخبرك بكل ما قالوه لي … وما سمعتُه منهم، وتستطيع أنتَ أن تُفسِّره.

ومضت لحظات، ثم قال «عباس» وهو يسير ببطء وقد بدأت المياه تغمر أقدامهما: لقد ساعدوني في الالتحاق بالعمل في «الجراج» … وهناك شخص لا أعرفه أوصى بي عند صاحب «الجراج»، فالتحقتُ بالعمل … كنتُ سعيدًا به … فهذا من الأعمال الشريفة القليلة التي قمتُ بها في حياتي … وأنا أُريد أن أعيش شريفًا … ولكن لا أدري ماذا أفعل؟

وصمت لحظات، ثم مضى يقول: فرحتُ جدًّا … وقضيتُ في العمل بضعة أيام … كنتُ أعمل في تنظيف السيارات في جزء من الليل … وأحيانًا طول الليل في مقابل خمسين

قرشًا في اليوم ... وأمس الأول جاءنا الرجل الذي رشَّحني للعمل في «الجراج»، وقال لي إنه سيطلب مني خدمة ... وبالطبع لم يكن في إمكاني أن أرفضها بعد أن ساعدني ...

وتنهَّد «عباس الأقرع» وأكمل حديثه قائلًا: طلب مني — كما قلتُ لك — أن أثقب «رادياتير» السيارة «المرسيدس» ... وقال لي إنهم يُريدون شراءها ويُريدون تخفيض ثمنها ... وأعطاني عشرة جنيهات ... وقبلت ... وطلبوا مني التنفيذ قُرب منتصف الليل ... وطلبوا مني الابتعاد عن «الجراج» فترةً على أن يُعيدوني للعمل فيه مرةً أخرى.

تختخ: وبالطبع كانوا يضحكون عليك.

عباس: نعم ... واضح أنهم كانوا يضحكون عليَّ ... ومن أجل هذا ... وحتى نُنقذ صديقتك الصغيرة سأقول لكَ ما سمعتُ بعد ذلك.

تنبَّه «تختخ» لهذه الجملة ... فهناك معلومات جديدة ... واستمرَّ «عباس» يقول: ذهبتُ إلى المقهى بعد أن أعطَوني النقود ... كنتُ أُريد أن أتعشَّى وأشرب كوبًا من الشاي ... وكان النور مقطوعًا ساعتها من المنطقة ... فاستخدموا بعض الشموع ... وجلستُ أتناول «السندوتشات» بجوار الرصيف ... وسمعتُ صوت المعلم «كنجة» وهو يتحدَّث ... كان الهواء يحمل لي كلمات متقطِّعة ... لم أفهم معناها في ذلك الوقت ... ولكني فهمتُ الآن بعد أن حدَّثتني عن خطف الفتاة صديقتك ... قلتَ لي ما اسمها؟

تختخ: اسمها «لوزة».

عباس: نعم «لوزة» ... سمعتُ كلمات ... أُحاول أن أتذكَّرها الآن ... الاستراحة ... الفتاة ... «الرادياتير» ... ولكن ... ولكن ... وتردَّد عباس لحظات، ثم قال: خُيِّل إليَّ أنني سمعتُ كلمة الفتاة الأخرى!

وصمت «عباس»، ودارت الكلمات في ذهن «تختخ» تترابط ... وتتناثر ... كأنها مجموعة من الخرز تنفرط من عقد ... ثم تعود لتجتمع ... الفتاة الأخرى ... الأخرى ... الفتاة الأخرى ... هل ينوون خطف «نوسة» ... هذا يعني أنهم يقصدون المغامرين الخمسة وليس «لوزة» بالتحديد ... إذن هناك عمليات خطف أخرى ... وأحسَّ أن صوت قلبه قد أصبح مسموعًا على بعد كيلومتر ... لقد تسارعت الدقَّات وارتفعت ... إن هذه الكلمات على أكبر جانب من الأهمية ... ولكن ما الطريق إلى توصيل هذه المعلومات إلى المغامرين ... أو إلى المفتش «سامي» ... إنه لو فقد أثر «عباس الأقرع» هذه المرة فلن يصل إليه مرةً أخرى ... إنه هارب من رجال الشرطة ... وسيختفي ولن يعثر له على أثر ... عليه إذن أن يعتمد على نفسه فقط ... وأن يستفيد من هذه المعلومات ...

ظلَّا يمشيان في الظلام ... ولاحظ «تختخ» أنهما قد وصلا إلى شاطئ بحيرة عرف على الفور أنها بحيرة «مريوط» التي تقع غرب الإسكندرية ... ومن بعيد بدت أنوار المقاهي الصغيرة والعشش الصفيح التي يُقيم بها صغار الصيادين الفقراء ... وحلقات السمك الساهرة في انتظار عودة الصيادين ...

توقَّف «عباس» عند منحنًى في الطريق، ثم قال لـ «تختخ»: تعالَ نقفز في أحد القوارب ونقطع المسافة الباقية.

تختخ: إلى أين نحن ذاهبان؟

عباس: سنذهب للعشاء عند صديق لي ... وسنقضي الليل عنده!

تختخ: ولكنني لم آتِ لمجرَّد الزيارة والنزهة ... وإذا كنتَ تعتبرني صديقكَ فعلًا ... فساعدني في معرفة بقية القصة!

عباس: اصبر ... ستعرف كل شيء في الوقت المناسب.

تختخ: ومتى يحين الوقت المناسب؟

عباس: الوقت المناسب عند منتصف الليل ... عندما يعود المعلم «كنجة» من الإسكندرية للحساب مع رجاله ... ستسمع الكثير.

قفزا معًا إلى القارب الصغير ... وأمسك «عباس» بالمجدافَين القصيرَين، ومضى يدفع القارب بعيدًا عن الشاطئ ... وبعد دقائق وجد «تختخ» نفسه وسط المياه ... كان الصمتُ يسودُ المكان تمامًا عدا صوت المجدافَين في الماء ... ومضى نحو نصف ساعة، وأخذ «عباس» يُهدِّئ من سرعة القارب ... وكان «تختخ» يجلس وظهره للشاطئ فلم يرَ أين هو ... وارتطم القارب بالشاطئ ارتطامةً خفيفة، ثم توقَّف، وقال «عباس» وهو يقف: هيا بنا!

نزلا من القارب وسارا نحو كيلومتر بمحاذاته ... ثم توقَّف «عباس» عند عشة صغيرة ودقَّ بابها الخشبي الصغير ثلاث دقَّات وهو يقول: يا «شوقي» ...

وبعد لحظات سمع صوت العشَّة يُفتح، وظهر وجه ولد في نحو السابعة عشر من عمره ... أحمر الوجه ... أصفر الشعر ... طيب الملامح، وأخذ يُحدِّق في الظلام وهو يقول: «عباس»!

ردَّ «عباس»: نعم ... معي ضيف.

شوقي: مرحبًا بالضيوف!

ودخل الاثنان إلى العشَّة ... كانت مكوَّنةً من غرفتَين صغيرتَين ... إحداهما بها فراش من الحديد الصدئ، عليه مرتبة قديمة ممزَّقة ... والأخرى فيها أدوات الصيد وبعض الأطباق.

قال «عباس»: الأخ «توفيق» من القاهرة.

مدَّ «شوقي» يده مُرحِّبًا بـ «تختخ» وهو يقول: أهلًا وسهلًا.

عباس: عندك شيء نأكله؟

شوقي: خيرك موجود يا «عبس».

وأسرع إلى «وابور الجاز» وأخذ يُشعله ... ثم رفع غطاء حلةٍ عن كمية من السمك الطازج ... وأحسَّ «تختخ» بالجوع عندما شاهد شكل السمك النظيف، وبدأ «شوقي» يُعد الطعام.

اللغز

جلس «عباس» بجوار «شوقي» عند «وابور الجاز»، وأخذا يتحدَّثان ... ولم يكن في إمكان «تختخ» سماع حديثهما بسبب صوت «الوابور» ... وهكذا جلس وحيدًا في جانب العشَّة ... وأحسَّ أنه محتاج إلى هذه الوحدة ليُفكِّر في كلِّ هذه الأحداث المتعاقبة ... يُريد إعادة ترتيبها وصياغتها لتُصبح وحدةً واحدة ... تجاهل مؤقَّتًا أسباب الخطف التي ما تزال مجهولة ... وأخذ يُرتِّب الوقائع كما سمعها من والدَي «لوزة»، ثم من «عباس الأقرع» ...

لقد دبَّر مجهولون عملية الخطف، وكانت البداية ثقب «رادياتير» السيارة ... ومن البداية أيضًا أحسَّ «تختخ» أن عملية ثقب «الرادياتير» هذه ليست مبرَّرة ولا معقولة ولا منطقية ... فلماذا يُريد الخاطفون إيقاف السيارة في منتصف الطريق ... إمَّا بإحراقها بنزول كل كمية المياه التي في «الرادياتير»، وإمَّا بتوقُّفها ... فهل كان الهدف إحراق الموتور ... أم إيقاف السيارة في منتصف الطريق الصحراوي؟

إن إحراق الموتور هدف غير منطقي ... بالإضافة إلى أن عدَّاد الحرارة سوف يكشف عن سخونة الموتور ... وسيستدعي هذا أن يتوقَّف والد «لوزة» في الطريق ... فالهدف إذن هو إيقافه ... ولكن لماذا؟ لقد خطفوا «لوزة» في المعادي ... فالهدف إذن كان وصول السيارة إلى المعادي ... ثم صعود والد ووالدة «لوزة» إلى شقة الأستاذ «يحيى»، ويتمكَّن الخاطفون من خطف «لوزة»!

هكذا فكَّر «تختخ» وهو يجلس صامتًا وحيدًا في جانب العشَّة ... وقد ساد الصمت إلا من نقيق الضفادع، وصرير الصراصير ... وهمهمة الفئران الضخمة التي أخذت تمرح حوله ... فلماذا إذن ثقبوا «الرادياتير» لتقف السيارة في منتصف الطريق؟

إن الإجابة عن هذا السؤال وحده ستُلقي الضوء على عملية الخطف ... فلماذا؟ لماذا؟ لماذا؟

أخذت كلمة لماذا تدور في ذهن «تختخ» كأنها طاحونة ... ثم فجأةً قفز إلى ذهنه شيء آخر ... الفتاة الأخرى! من هي الفتاة الأخرى؟ إنها لا بد أن تكون «نوسة» ... ولكن هل تجرؤ العصابة على اختطاف فتاتَين في وقتٍ واحد؟ وهل الهدف من خطف «لوزة» هو نفس الهدف من خطف «نوسة»؟ ولأي سبب؟ لماذا لا تكتفي العصابة بفتاة واحدة؟

شيء ما قفز إلى ذهن «تختخ» فجأةً كأنه صاروخ ... فكرة لامعة تأتي عندما يستجمع الذهن البشري قوته ويربط بين الأسباب والنتائج ... ولأول مرة منذ الصباح أحسَّ بالارتياح ... أحسَّ أنه وصل إلى شيء ما ... تفسير ما يضع يده على طرف الخيط في هذه القضية المثيرة ... وكان صوت «الوابور» ما زال مُرتفعًا، ولكنه سمع «عباس» يُناديه ... وشمَّ في الوقت نفسه رائحة السمك تغزو أنفه ... وقام من مكانه واتجه إلى «عباس» الذي قال له: لقد تحدَّثتُ مع «شوقي» الآن ... إنه صديقي وتستطيع الاعتماد عليه ... وهو يعتقد أنه من الخطر الآن أن نتحرَّك ... إن الرجال الذين خطفوا صديقتك في منتهى القوة ... ويمكن إذا علموا بوجودك أن يقضوا عليك.

قال «تختخ»: إنني بالطبع لا أعمل وحدي ... إنني ... وقبل أن يُكمل جملته قال «عباس»: أظن من الأفضل لنا ألَّا يتدخَّل رجال الشرطة في هذا الموضوع ... هذا إذا أردتَ أن نُساعدك.

تختخ: ما مدى المساعدة التي يمكن أن تُقدِّماها لي؟

عباس: لا نعرف بالضبط ... ولكننا سنُحاول أن نسأل لكَ عن الفتاة وأين أخفوها، ونحن بالطبع لا نُؤكِّد أننا سنصل إلى شيء محدَّد.

خطرت لـ «تختخ» مرةً أخرى الفكرة التي كانت بخاطره منذ دقائق ... فكرة غريبة وافتراض مُدهش ... ولكنه قد يحل اللغز ...

كان «شوقي» منهمكًا في إعداد الطعام وقد أوشك على النضج، فقال «تختخ»: متى يمكننا أن نتحرَّك من هنا؟

عباس: بالنسبة لي أستطيع أن أتحرَّك ليلًا فقط لبضعة أيام ... إنني معروف لرجال الشرطة في منطقتنا ... إذا ظهرتُ فسوف يمسكونني فورًا.

تختخ: لنتحرَّك الآن!

عباس: بعد أن نأكل طبعًا!

تختخ: طبعًا ... طبعًا.

عباس: وإلى أين نذهب؟

تختخ: سأقول لكم عمَّا في ذهني ... وأنتما تُحدِّدان الاتجاه.

عباس: وماذا في ذهنك؟

فكَّر «تختخ» قليلًا ... كان يُريد فسحةً أُخرى من الوقت ليُعيد التفكير فقال: بعد الأكل سأقول عمَّا يدور في ذهني.

ووضع «شوقي» الطعام ... وجلس الثلاثة يأكلون ... كان السمك ممتعًا حتى ليظن «تختخ» أنه لم يأكل مثله في حياته ... وأكل بشهية مفتوحة ... فقد كانت الفكرة التي تُلح على ذهنه رائعة ... لقد ارتاح من القلق ... ويستطيع الآن بينه وبين نفسه أن يقول إنه حلَّ اللغز ... نعم ... وصل إلى الحل الذي لا يُفكِّر فيه أحد ... لقد كانت العصابة شديدة الذكاء. إنها فكَّرت في هذه الفكرة الجهنمية ... ولكنه استطاع أن يصل إليها.

انتهَوا من الطعام، والشاي على «وابور الجاز»، وسرعان ما رُفع الطبق الوحيد الذي كانوا يأكلون فيه، ودارت عليهم أكواب الشاي الأسود ... وقال «عباس» وهو ينظر إلى «تختخ» بإمعان: والآن ماذا تُريد؟

قال «تختخ» على الفور: هل هناك بنات صغار ممَّن تعرفان اختفَت أمس قُرب المساء؟

نظر «عباس» و«شوقي» كلٌّ منهما للآخر لحظات، ثم ردَّا في نفَس واحد: لا!

تختخ: إنني أُريد منكما أن تتأكَّدا من هذه المسألة؟

نظر الولدان مرةً أُخرى كلٌّ منهما للآخر ... ثم قال «عباس»: إن هذا يستدعي أن نعود إلى «غيط العنب» مرةً أخرى لنسأل ونعود!

نعم ... ولكن ليس مهمًّا ... لقد وعدتُ أن أُساعدك ولا يُهمُّني ماذا يحدث لي!

تختخ: شكرًا ... إنكَ ولد رائع!

عباس: سأخرج مع «شوقي» الآن ... فهل تخاف أن تنام وحدك؟ ... سنعود إليكَ في الصباح الباكر.

تختخ: إنني لا أخاف.

قام الولدان وقال «عباس»: لا أحد يعرف هذا المكان تقريبًا ... لهذا يمكن أن تنام مرتاحًا.

قال «تختخ» باسمًا: الفئران تعرف المكان جيدًا!

عباس: لا تخَف منها ... إنها لن تُؤذيك.

وخرج الولدان وتركا «تختخ» وحده ... جلس دقائق، ثم فتح باب العشَّة وخرج ... كان الظلام كثيفًا في الخارج ... ولكن القمر كان قد ارتفع في السماء فاستطاع أن يرى

ما حوله ... كان شاطئ بحيرة «مريوط» على مسافةٍ بعيدة من المكان المأهول بالسكَّان ... وكان القارب الصغير الذي جاءا به ما يزال مربوطًا في مكانه ... كانت الفكرة التي فكَّر فيها والتي تحل لغز اختفاء «لوزة» ساطعةً في ذهنه ... لقد أصبح كل شيء معدًّا الآن للإمساك بكل خيوط اللغز فماذا يفعل؟

هل ينتظر حتى يعود الولدان إليه ... أو يكون الوقت قد فات؟ وفجأةً ودون أن يُفكِّر انطلق إلى القارب الواقف عند الشاطئ، وقذف بنفسه فيه، وأخذ يُجدِّف مبتعدًا ... كان يُحس أنه مشترك في مطاردة لا بد أن يكسبها ... وأخذ نشاطُه يزداد وهو يُفكِّر أنه سيتمكَّن من الوصول إلى القاهرة في نفس الليلة، وتذكَّر السائق «وجيه» الذي طالما اشترك معهم في بعض مُغامراتهم ... وتمنَّى أن يجده ... ووضح الشاطئ المضاء خلفه ... وأخذ يُجدِّف سريعًا في الظلام دون أن يتوقَّف لحظةً واحدة ... ومضت نصف ساعة ... ثم نظر خلفه ... كانت الأضواء تزداد اتساعًا، وزاد من نشاطه حتى استطاع أن يسمع جلَبة السيارات وصوت الباعة ... وعرف أنه اقترب من «غيط العنب» ... وما عليه إلا أن يقفز على السور ليعود إلى الشوارع الحافلة بالناس.

ارتطم القارب بالشاطئ فربطه «تختخ» في أقرب قطعة حجر ... ثم نظر إلى الأرض وانطلق يجري ... كان التجديف المتصل قد جعل جسمه ساخنًا فلم يجد صعوبةً في أن يجري بعض الوقت ... ثم يصل إلى السور فيقفز من عليه ... ثم يمر على قضبان السكك الحديدية سريعًا حتى يصل إلى السور الثاني ... ويجد نفسه بمحاذاته، فيمشي حتى يصل إلى المرتفع الذي يُؤدِّي إلى كوبري «كرموز» فيمشي عبره مُنطلقًا ... ثم يقفز في أول أوتوبيس يجده ... وبعد لحظات وقبل أن يصل الكمساري يقفز منه إلى أوتوبيس آخر ... كان يعرف أنه يرتكب خطأً فاحشًا أن يركب بدون تذكرة ... وهو عمل غير أخلاقي ... ولكن لم يكن أمامه وقت ليشرح للكمساري موقفه.

في النهاية وجد نفسه في باب الحديد ... كان قلبه يكاد يقفز من بين ضلوعه تعبًا ... وتطلُّعًا للعثور على السائق «وجيه». وأخذ يمضي بين عشرات السيارات الواقفة في موقف الإسكندرية–مصر ... ولكنه لم يجده ... وأحسَّ بأنه يكاد ينهار ... ولكنه قرَّر أن يُحاول محاولةً أخيرة ... اقترب من أحد السائقين وسأله: السائق «وجيه» من فضلك ... هل رأيته؟

فكَّر السائق لحظات، ثم قال: أي «وجيه» فيهم؟ ... هناك أكثر من «وجيه»!

تختخ: ذو الوجه الأحمر والشارب الغليظ.

السائق: آه ... «وجيه حسني» ... إنه ذهب يتناول عشاءه ... وسيأتي بعد دقائق ... وأشار إلى سيارة تقف في جانب الطريق، وقال: هذه هي سيارته.

مشى «تختخ» متثاقل الخطوات حتى وصل إلى السيارة ... وجد بابها مفتوحًا فدخل ... ثم مدَّ يده إلى جهاز الراديو فأداره وأخذ يستمع إلى الموسيقى ... كان مرتاحًا وكأنه عاد إلى منزله ... ومضى نحو ربع ساعة، ثم فُتح باب السيارة، وأطل وجه السائق «وجيه» القوي الباسم، وصاح عندما شاهد «تختخ»: أستاذ «توفيق»!

ومدَّ يده مُصافحًا ... وقال «تختخ»: «وجيه» أُريد بعض النقود.

وجيه: تحت أمرك ما تريد!

أين «لوزة»؟

انطلقت السيارة بهما إلى محطة الرمل ... كانت خطة «تختخ» التي رسمها تعتمد على وجود المفتش «سامي» أولًا ... فإذا تعذَّر وجوده ... فلْيتصل بالمغامرين ... دخل إلى كابينة التليفونات وطلب من الموظَّف الاتصال برقم المفتش ... بعد دقائق قليلة صاح الموظف: كابينة رقم ٤ من فضلك!

أسرع «تختخ» إلى الكابينة ... وعلى الطرف الآخر كان المفتش «سامي» يتحدَّث ... وقال عندما سمع صوت «تختخ»: أين أنت يا «توفيق»؟

تختخ: أنا في الإسكندرية.

المفتش: ماذا تفعل هناك؟!

تختخ: أحل لغز اختفاء «لوزة».

المفتش: ولكن «لوزة» اختُطفت في القاهرة ... ونحن نرفع كل البصمات التي وجدناها على السيارة، ونسأل كل الشهود ... ونجمع كل البيانات ... وإن كان كل شيء يبدو غامضًا!

تختخ: أرجو أن تأتي إلى الإسكندرية فورًا.

المفتش: ماذا تقول؟

تختخ: الإسكندرية فورًا ... ومعك «عاطف» و«محب» و«نوسة» إن أمكن ... لقد وجدتُ حلَّ اللغز.

المفتش: كيف؟!

تختخ: عندما تحضر سأشرح لكَ كل شيء ... إنني على موعد مع «عباس الأقرع» بعد ساعات قليلة ... ولستُ أُريد إضاعة الفرصة ... إذا كنتَ تثق بي فتعالَ فورًا.

المفتش: طبعًا أثق بك!

تختخ: سأنتظرك على كازينو «أتينيوس» في محطة الرمل ... الساعة الآن التاسعة والنصف.

المفتش: سأكون عندك بعد ساعتَين ونصف الساعة تقريبًا.

تختخ: إلى اللقاء.

وضع «تختخ» السمَّاعة وخرج والدنيا لا تتسع لفرحته ... وجد «وجيه» في انتظاره فقال له: إنني أشكرك أيها الصديق ... فبدونك لَمَا استطعتُ عمل أي شيء.

وجيه: ماذا حدث؟

تختخ: لقد خُطفت صديقتنا «لوزة».

وجيه: صديقتنا الصغيرة الذكية؟

تختخ: نعم ... خُطفت أمس ليلًا ... وسأشرح لك كل شيء ... وستكون أول من يسمع القصة كاملةً وحلَّ اللغز أيضًا ... هيًّا إلى كازينو «أتينيوس»!

سار الصديقان إلى الكازينو، طلبا بعض قطع الجاتوه والشاي ... وجلسا معًا ينظران إلى البحر ويتمتَّعان بالهواء النقي ... وأخذ «تختخ» يحكي لـ «وجيه» القصة ... وكان «وجيه» السائق الشاب يعكس الانفعالات القوية التي تُثيرها المغامرة ... وخاصةً عندما أخذ «تختخ» يشرح له كيف توصَّل إلى حلِّ اللغز!

قال «وجيه»: إنها خطة رائعة ... وأنت ولد رائع!

تختخ: شكرًا لك ... ستكون مفاجأةً للجميع.

مضى الوقت مُتثاقلًا ... وكان «تختخ» ينظر إلى ساعته بين لحظة وأخرى ... أخيرًا ... وأخيرًا ... اقتربت الساعة من منتصف الليل ... وفجأةً سمعا صوت أقدام كثيرة ... وشاهدا المفتش «سامي» يدخل هو واثنان من رجاله بصُحبته ... ثم والد ووالدة «لوزة» ... ثم «عاطف» و«محب» و«نوسة». كانَت اللهفة واضحةً على وجوههم جميعًا ... لقد كانوا في أشد حالات الانفعال وهم يُسلِّمون على «تختخ» الذي ابتسم لهم جميعًا ... وجلسوا حوله في حلقة، وطلبوا بعض الجاتوهات والشاي والقهوة ...

كانت والدة «لوزة» شاحبة ... بل شديدة الشحوب وهي تنظر إلى «تختخ» وكلها لهفة لسماعه ... وأخيرًا قال المفتش: والآن ... دعنا نستمع إليك!

تختخ: أُحبُّ أن أُطمئنكم إلى أننا بإذن الله سنصل إلى «لوزة» هذه الليلة ... كل ما أحتاج إليه هو بضع ساعات وقوة من رجال الشرطة.

المفتش: لقد تحدَّثتُ مع شرطة الإسكندرية ... وهناك قوة في الانتظار.

تختخ: لقد خُطفت «لوزة» في الطريق الصحراوي وليس في المعادي! ارتفعت صيحات الدهشة من أفواه الجالسين ... وقال والد «لوزة»: آسف يا «توفيق»، أنت مخطئ يا ولدي ... وإذا كانت نظريتك هي هذه ... فلن نصل إلى «لوزة» مُطلقًا!

تختخ: إن شاء الله سنصل إليها ... دعني أُكمل حديثي!

المفتش: اتركوه ... لا تقاطعوه.

نظر «تختخ» إلى «عاطف» مُبتسمًا وعاد يقول: لقد وضعت العصابة خطتها ببساطة ... ولكن ببراعة كاملة ... لقد سألت نفسي لماذا ثقبوا «الردياتير» بحيث تتوقَّف السيارة في الطريق الصحراوي؟! ... لا بد أن هناك سببًا!

توقَّف «تختخ» وبدت اللهفة تشتد فقال: لقد توصَّلتُ إلى السبب ... إن العصابة قامت بثقب «الرادياتير» حتى تتوقَّف السيارة في الطريق الصحراوي ... وأقرب مكان مأهول في الطريق هو «الرست هاوس»، وهناك فعلًا توقَّفت سيارة والد «لوزة» ونزل لإحضار الماء ... ونزلت والدة «لوزة» لتشرب ... وهنا قامت العصابة بتنفيذ خطتها ... لقد استخدموا سلكًا رفيعًا مدُّوه من الزجاج الذي تركه الوالد مفتوحًا للتهوية ... وفتحوا الباب، وحملوا «لوزة» بعد أن كمَّموا فمها!

صاح والد «لوزة»: ولكن «لوزة» كانت معنا في السيارة حتى المعادي!

تختخ: التي كانت معكم في السيارة كانت فتاةً أخرى ... لقد كانت «لوزة» مُغطاةً بالبطانية الحمراء ... وقد وضعوا الفتاة الثانية وغطَّوها بالبطانية الحمراء أيضًا ... ولم يخطر ببالكما أن من تحت البطانية الحمراء ليست «لوزة» ... ولكنها فتاة أخرى!

ساد الصمت بعد هذه الجملة ... وأخذ «تختخ» ينظر إلى الوجوه المندهشة، ثم عاد يقول: وعندما وصلتم إلى المعادي تمَّ تنفيذ بقية الخطة ... صعد الوالد والوالدة إلى منزل العم «يحيى»، وبمنتهى الهدوء فتحت الفتاة الأخرى الباب وخرجت ... وهكذا تمَّ تنفيذ الخطة كاملة!

نطقت «نوسة» لأول مرة قائلة: إنها خطة مدهشة!

وتحدَّث الجميع بين مؤكِّد ومُنكِر، فقال «تختخ»: إن صديقًا لي يُدعى «عباس الأقرع» يُساعدني الآن في البحث عن الفتاة الثانية ... فإذا عثرنا عليها سيكون من السهل الاستدلال عن طريقها إلى العصابة.

قال المفتش: إنني متفق معك في هذا التفسير ... فقد اتضح من نقل آثار أقدام الفتاة التي نزلت من السيارة أنها ليست آثار أقدام «لوزة» ... وقد علمتُ هذا قبل حضوري مُباشرة، وطوال الطريق وأنا أُفكِّر في حلٍّ لهذه المسألة ... وهذا هو الحل الوحيد!

قالت الأم: إنكَ ولد ممتاز ... وإذا صحَّ هذا الاستنتاج ... فسوف أُصفِّق للمغامرين الخمسة دائمًا.

تختخ: والآن سأعود لانتظار «عباس الأقرع»، وأرجو من سيادة المفتش أن يأمر بأن تكون القوة قريبةً من بحيرة «مريوط» ... وأُريد أن آخذ من المفتش وعدًا بأن يُراعي الرفق الكامل في مُعاملته لـ «عباس الأقرع». إنه الولد الذي قام بثقب «الرادياتير» ... ولكنه ساعدنا مساعدةً فعَّالةً في حلِّ اللغز!

المفتش: من الممكن اعتباره كشاهد معك ... وفي هذه الحالة لا يصدر ضده أي حكم.

تختخ: عظيم ... هيا بنا!

الأب: هل نأتي معكم؟

المفتش: أُفضِّل أن تعودا إلى منزلكما في الإسكندرية ... وإذا نجحنا سنأتي إليكما!

عاطف: سآتي معك «يا توفيق»!

تختخ: بالطبع ... و«محب» و«نوسة» أيضًا.

وعندما وقفوا قال «تختخ»: أُحبُّ أن أشكر أمامكم الأخ «وجيه» الذي كان له فضل كبير في الاتصال بكم وحضوركم ... فقد نُشلَت كل نقودي ... وأنا مدين له بمبلغ جنيه ... ولولد آخر بخمسين قرشًا!

أسرع والد «لوزة» يُخرج نقودًا لدفعها إلى السائق الكريم ... ولكنه رفض ... وقال إنه صديق للمغامرين الخمسة ... ولا يقبل أي شيء نظير مساعدتهم.

استقلَّ الجميع السيارات ... وانطلقَت بهم في اتجاه بحيرة «مريوط» ... وبعد ساعة تقريبًا كان «تختخ» يجلس في العشَّة مرةً أخرى ... ومعه «محب» و«عاطف» ... واستمرَّ الثلاثة يتحدَّثون حتى طلع الفجر ... وسمعوا صوت أقدام، وظهر «عباس الأقرع» وحده، فلمَّا شاهد الثلاثة بدت عليه الدهشة الشديدة، فقال «تختخ»: إنهما صديقاي!

عباس: أهلًا وسهلًا ... ولكن كيف وصلا إلى هنا؟

تختخ: هذه قصة طويلة ... ماذا خلفك من أخبار؟

عباس: لقد عرفتُ أشياء كثيرة ... و«شوقي» عرف الفتاة، وسيُحضرها بعد قليل!

صاح «تختخ»: فعلًا كانت هناك فتاة مختفية!

عباس: فعلًا ... اسمها «نوارة»، وقد حكت لنا القصة كلها ... لقد طلبوا منها أن تركب سيارةً مكان فتاة أخرى ... لا بد أنها صديقتكم!

قفز «تختخ» من مكانه وقال: لقد صحَّت نظريتي!

ظهر «شوقي» في هذه اللحظة وبجواره فتاة صغيرة، عرفوا على الفور أنها «نوارة» التي دخلت بشجاعة إلى الكوخ ... فقال «تختخ» على الفور: هل تعرفين مكان «لوزة»؟

ردت الفتاة: نعم ... إنها موجودة في عشة على الشاطئ الشرقي للبحيرة!

ابتسم «عاطف» وهو يُغالب دموعه ... وقام من مكانه وأخذ يحتضن «تختخ» وهو يقول: أنت المغامر الذكي!

قال «تختخ»: هيا بنا ... لا وقت عندنا!

عباس: ولكن الفتاة كما علمت محروسة جيدًا بواسطة مجموعة من الأشقياء الخطرين!

تختخ: عندنا من هم أخطر منهم!

خرج الجميع ... وأسرع «محب» يجري إلى حيث كانت قوة رجال الشرطة والمفتش «سامي» في الانتظار ... وعندما اقترب منهم صاح: يا حضرة المفتش لقد عرفنا مكان «لوزة»! هيَّا!

وتحرَّك الرجال ... وعندما شاهدهم «عباس الأقرع» بدا عليه الغضب، ونظر إلى «تختخ» الذي قال له: لقد وعدتُك ألَّا يحدث لكَ أي مكروه ... وما زلتُ عند وعدي!

مشَوا جميعًا خلف الفتاة الصغيرة خلال المستنقعات، وقد بدت أشعة الشمس تفرش السماء والأرض بنورها ... وبعد نحو نصف ساعة أشارت «نوارة» إلى عشة كبيرة وقالت: هذه هي العشَّة ... لقد كنتُ مع الفتاة طول النهار، إنها فتاة شجاعة ولم تبكِ مُطلقًا!

أحاط رجال الشرطة بالعشَّة ... وأخرج المفتش «سامي» وثلاثة من الضبَّاط مسدساتهم، واقتربوا من العشَّة وهم يختفون خلف البوص الكثيف الذي يُحيط بها ... ولم يسمع أحدٌ أي صوت، فهمس «تختخ»: يبدو أنهم نائمون.

أخذوا يقتربون في هدوء حتى أحاطوا بالعشَّة تمامًا ... وكان الرجال نائمين فعلًا خارجها ... ولم يكن هناك مستيقظ إلا رجلًا واحدًا وضع بندقيته على الأرض، وأخذ يُعد الشاي لنفسه، وفي حركة خاطفة انقضَّ أحد الضبَّاط على البندقية فضربها بحذائه، وأبعدها عن الرجل، ثم وضع المسدس في ظهره، ونظر الرجل إلى ما يحدث حوله في ذهول، فقال الضابط: لا تتحرَّك!

اقتحم الرجال العشَّة ... وسُمع صوت صياح من داخلها ... ولم تمضِ دقائق حتى ظهر رجال العصابة وقد أذهلتهم المفاجأة ... وأسرع المغامرون الثلاثة إلى العشَّة ... كانت «لوزة» واقفة ... والمفتش «سامي» يفك وثاقها ... وانقضَّ الثلاثة عليها وهم يصيحون: «لوزة» ... «لوزة»!

وأخذت «لوزة» تُقبِّلهم واحدًا واحدًا وهي تقول بصوتٍ تخنقه الدموع: كنتُ واثقةً أنكم ستأتون في الوقت المناسب!

بعد ساعة من هذه الأحداث ... كان المغامرون الخمسة يصعدون سلالم الفيلا التي يسكن بها والد «لوزة» ووالدتها ويدقُّون الجرس ... ووقفت «لوزة» في المقدِّمة شاحبة الوجه ... وفتحت الأم الباب، ولم تكد ترى «لوزة» حتى صاحت: «لوزة» ... «لوزة»!

وألقت المُغامِرة الصغيرة بنفسها بين ذراعَي أمها ... وظهر الوالد وهو يبتسم ويقول: «لوزة» ... ابنتي!

وجلس الجميع يفطرون ... ودقَّ جرس التليفون، وكان المفتش «سامي» الذي يتحدَّث إلى والد «لوزة» وسأله: هل تعرف رجلًا اسمه «مسعود أبو دراع»؟

رد الوالد: نعم أعرفه ... لقد كان يعمل خفيرًا في الشركة واتضح أنه لص ... فأمرتُ بإحالته إلى النيابة للتحقيق معه!

المفتش: لقد خطف «لوزة» انتقامًا منك. سنستكمل التحقيق ونطلبك للشهادة.

كانت نهاية المغامرة يومًا رائعًا على البلاج، وكان «تختخ» يُفكِّر وهو بين الأمواج وبين الأصدقاء كيف يفعل شيئًا هو والمغامرون لمساعدة الولد الشهم ... «عباس الأقرع»؟


هنداوي